بعض سفارات العلماء في عصر الحروب الصليبية من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر للفترة (٤٩٠ - ٥٧١ هـ / ١٠٩٦ - ١١٧٥ م)

د. عذال إبراهيم حسين
جامعة كركوك/كلية التربية
مدرس في قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

ابن عساكر: الإمام الحافظ ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي المتوفى (٥٧١هـ/١١٧٥م)، ولد بدمشق سنة (٤٩٩هـ/١١٠٥م) وعُرف بكتابه "تاريخ دمشق الكبير" الذي يعد موسوعة إسلامية يقع في (٧٤) مجلدا، فضلاً عن فهرست تناول فيه مختلف مظاهر التراث العربي الإسلامي، إذ ترجم لكل من زارَ بلاد الشام وأسهم بحضارتها منذ الخليقة حتى عصر المؤلف من كل بقاع العالم الإسلامي في مختلف مجالات الحياة العلمية والسياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية.

وتسعى هذه الورقة العلمية إلى إلقاء الضوء على بعض سفارات العلماء في عصر الحروب الصليبية للمدة (٤٩٠-٥٧١هـ/١٠٩٦-١١٧٥م) من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، إذ أعطى ابن عساكر جرداً بأسماء العلماء الذين تبوؤا وظيفة السفير، وتكمن أهمية هذه الدراسة أن معلومات ابن عساكر عن الذين كتب عنهم جاءت من خلال مشاهداته العيانية لهم أو السماع عنهم من دون الرجوع إلى المصادر المكتوبة والمشافهة إلا في حالات نادرة ، وهي ميزة انفرد بها ابن عساكر عن غيره من المصادر الأخر المعاصرة له.

وشملت الدراسة على محورين وخاتمة، تضمن المحور الأول: أ_ تعريف السفارة لغة واصطلاحاً. ب_ مراحل تطور السفارات خلال العصور الإسلامية. المحور الثاني: أ_ أهم

الشروط الواجب توفرها في السفير، ب- تسليط الضوء على أهم العلماء الذين شغلوا وظيفة السفير خلال الحقبة التي تناولها البحث.

المحور الأول

أ- تعريف السفارة لغةً واصطلاحاً:

يعد العلماء في السفارات عناصر أساسية ومهمة فلا تكاد تخلو سفارة من عالم وأديب؛ لأن السفارة كانت تتألف من: ((السفير وحاشيته... وإذا لم يجد رئيس الدولة رجلا واحدا يستطيع أداء المهمة التي كلف بها كوّنت السفارة من أكثر من شخص وحاشيته بمعنى أن يكون أحدهم من علماء الشريعة... والآخر من رجال القلم والثالث من رجال السيف، ولكل واحد من هؤلاء وظيفته الخاصة لا يسوغ له الخروج عنها بحال من الأحوال، فصاحب الشريعة يعزز ما يسوغ فيها ويدفع عنها ما لا يسوغ وصاحب السيف يرتب ما لا ضر فيه على الملك وجنده ولا خوف ولا مخاطر والكاتب حفظ قوانين السياسة ومراسل المكاتبات وأدب المخاطبات))[(1)].

ولاشك أن الدلالات اللغوية لكلمة السفارة قد أطنب اللغويون في ذكرها لكن أهم ما يمكن قوله أن السفارة مأخوذة من سِفر بالكسر، وقيل هو الكتاب الكبير[(2)] وكذلك وردت اللفظة في القرآن الكريم بشكل السَفَرة كما في قوله تعالى:((وَإِن كُنتُمْ عَلَىَ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدّ الّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتّقِ اللّهَ رَبّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ))،[(3)]وقوله تعالى :((بِأَيْدِي سَفَرَةٍ))[(4)]،والسَفَرة: كتبة الملائكة الذين يحصون الأعمال[(5)]، فيما حدد الزبيدي أن السافر أنما سمي مسافراً ((لكشفه قناع الكنَّ عن وجهه ومنازل الحضر عن مكانه ومنزل الحفض عن نفسه وبروزه للأرض والفضاء))[(6)]، وسميت الملائكة سفرة لأنهم يسفرون بين الله وبين أنبيائه[(7)]، وسموا سفرة لأنهم ينزلون بوحي الله وبأذنه وما يقع به الصلاح بين الناس، فشبهوا بالسفراء الذين يصلحون بين رجلين فيصلح شأنها[(8)]، والسفير: هو المصلح بين القوم، لأنه يظهر ما أمر به[(9)].

أما اصطلاحا: هو الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسلم أو القبض أو هي الوظيفة التي تناط إلى من يرى فيه الملك أو الخليفة أو الأمير علماً وفهماً وفطنة، ومعه زهده

وتورعه لتمثله لدى الحكام والملوك والأمراء، يحمل عنه رسائله إليهم ذهاباً ويعود منهم بالرد عليهما إياباً[١٠]. أوهي عملية استمرار الاتصالات الخارجية على اختلاف أنواعها وأشكالها ودرجاتها، تؤدي بواسطة السفراء والرسل والمبعوثين ويكونون وكلاء وممثلين للمرسل لدى الملك أو الرئيس المرسل إليه في دولة أخرى في أمر من الأمور المعلقة بينهما وينتدب لهذه المهمة من يصلح لها ويكون نائباً أو وكيلاً لمرسله في كل ما ينسب إليه من توقيع الاتفاقيات والمعاهدات أو إنهاء حالة الحرب.[١١]

ب- مراحل تطور السفارات:

من البديهي أن تنال السفارة منذ الأزمنة القديمة عناية المجتمعات الإنسانية،إذ أن الطبيعة البشرية تقتضي التعامل والتقارب، ونبذ الانطواء والعزلة ،وكذلك الأخذ بأسباب التوسع في المعاملات والمبادلات[١٢]، وبعد انتشار الإسلام أصبحت السفارات وسيلة فعالة من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية للدولة العربية الإسلامية التي وطد دعائمها وأركانها الرسول الكريم محمد (ﷺ)[١٣]، وكانت مهمة السفارات في عهد الرسول الكريم محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) (١-٤٠هـ/٦٢٢-٦٦٠م) تقوم على نشر تعاليم الإسلام خارج حدود الدولة الإسلامية وأداة لتنظيم الاجتماعات والمؤتمرات وعقد المعاهدات مع الدول المجاورة لحل الإشكالات الموجودة بين الطرفين وتحقيق المصالح المشتركة[١٤]. وكذلك الحال في عصر الخلافة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) كانت السفارات هي السبيل إلى نبذ الحرب وعقد المحالفات، ثم أخذت وظيفة السفارة في العصور العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) تمر بتطورات جديدة منها= أنها أصبحت تخضع لقواعد دقيقة وتنظم في أصول واضحة، وهذا التطور ربما يعود إلى علو شأن الدولة العباسية وتطورها مع مرور الزمن وفقا لما اقتضته الظروف الراهنة[١٥]، وكان من بين الغايات أو الأهداف التي توخاها أصحاب السفارات في هذا العصر هو توثيق العلاقات الثقافية والتجارية، حيث كانت السفارات تخرج من بغداد وهي تضم أهل الفكر والصناعة والتجارة والفن حاملة العطايا والهدايا المقدمة من لدن الخليفة العباسي، وكانت مهمة هذه السفارات تنتهي بعقد معاهدة بين الدولة العباسية وبين الدولة الموفد إليها من الوفود والسفارات[١٦].

وثمة دورٌ بارزٌ للسفارات في عصر الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) من خلال سعة النشاط الدبلوماسي الذي قام به العلماء بين الخلافة العباسية وأمراء الأطراف بدأت منذ باكورة وصول الصليبيين إلى سواحل بلاد الشام من أجل كسب التأييد والتحشيد المادي والمعنوي ضد الصليبيين ،فغالبا ما يبرز دور السفراء في أوقات المحن والأزمات على الرغم من أدراك العلماء ضعف الإمكانيات المادية للخلافة العباسية ، وأن السلاطين السلاجقة المتأخرين لم يكن ممكنا أن يعول عليهم لانشغالهم بمشاكلهم الخاصة والصراع على السلطة(١٧) .

المحور الثاني

أ- الشروط الواجب توفرها في السفير:

ومن أجل أن يحقق السفراء أهدافهم المرجوة كان يتعين على الخلفاء والأمراء انتقاء الشخصيات التي تتوسم فيها المؤهلات اللازمة حتى يكونوا أقدر على التأثير، وأبلغ في التعبير عن مضمون السفارة ولعل في مقدمة هذه المؤهلات صفتي العلم والحكمة(١٨)، والجراءة والوقار(١٩)، وأن يكون: ((رجلاً حصيفاً بليغاً ،حوّلا قلبا ،قليل الغفلة، منهز الفرصة ، ذا رأي جزل وقول فصل، ولسان سليط وقلب حديد ... جامعا مع هذا العلم الفرائض والسنن والأحكام والسير...عالما بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال... وليكن من أهل الشرف والبيوتات ذا همة عالية...))(٢٠)، بينما حدد الأصفهاني مواصفات أخر للسفير منها أن يكون مقامه: ((أجل وأعلى وأعلم...، وأجمع لفنون الفضائل وأعرف بأداء الرسائل... [لأن] الرسول من يندب للتفهيم والتفخيم ويرتب في الأمر العظيم للتعظيم)) (٢١)، وكذلك أن يعتمد السفير في عمله على توطد الثقة، والصدق(٢٢)، في حين أشار القلقشندى إلى شروط أخر قائلا: ((... أن يكون صحيح الفكرة والمزاج ذا بيان وعارضة ولين واستحكام منعة ، وأن يكون بصيرا بمخارج الكلام وأجوبته ، مؤديا للألفاظ عن الملك بمعانيها صدوقا بريئا من الطمع وعلى مرسله امتحانه قبل توجيهه في مقاصده ، ولا يرسل للملوك الأجانب إلا من اختبره بتكرير الرسائل إلى نوابه وأهل مملكته...))(٢٣)، كما أوضح القلقشندى طريقة اختيار الشخص كسفير قائلا:((فقد كان الملوك ... إذا آثروا إرسال شخص مهم، قدموا امتحانه بإرساله إلى بعض خواص الملك ممن في قرار داره في شيء من

مهماته، ثم يجعل عليه عينا فيما يرسل به من حيث لا يشعره ،فإذا أدى الرسول رسالته رجع بجوابها ، وسأل الملك عينه ، فإن طابق ما قاله الرسول ما يأتي به من هو عين عليه وتكرر ذلك منه، صارت له الميزة والتقدمة عند الملك ووجهه حينئذ في مهمات أموره))[٢٤]. وغيرها من المؤهلات الأخر التي تستوجب توفرها في السفير[٢٥].

ومما يلاحظ أن معظم السفارات التي تجوب البلاد الإسلامية كانت من نصيب العلماء والأدباء بحكم تأثيرهم العاطفي، وإقناعهم المنطقي[٢٦]، كما أن التمثيل الذي يقوم به السفير لشخص مرسله أحد أهم الاعتبارات التي دفعت الخلفاء لتقديم العلماء في سفاراتهم ؛لأن السفير يعد ممثلاً ويفاوض بالنيابة عنه وبناء على ذلك فان ما يحمله السفير من فضل يعود إلى من أرسله وينسب إليه، فإذا كان الرسول من دون مرسله في الرأي والعقل عزى ذلك إلى مرسلهُ[٢٧].

ب – جهود العلماء في السفارات

ومن هذا المنطلق فان الدراسة تتناول بعضاً مما عثرنا عليه لنماذج من تلك السفارات التي لعب فيها العلماء دوراً بارزاً والتي حظيت باهتمام ابن عساكر في كتابه ((تاريخ دمشق الكبير))، فكان يرصد السفراء القادمين إلى بلاد الشام من عاصمة الخلافة العباسية بغداد والبلدان الإسلامية الأخر وبالعكس، فضلاً عن ذلك فقد كان يتابع عن كثب السفارات داخل حدود بلاد الشام سواء رآهم بنفسه أم سمع عنهم، وكان أغلبهم من العلماء مما يكشف دورهم العلمي والسياسي والاجتماعي في بلدانهم، والذين كانوا يمثلون جانبا مهما من العلاقات الحضارية بين العالم الإسلامي المبنية على التعاون في مختلف المجالات بما فيها التصدي للغزو الصليبي وتوحيد جهود المسلمين لمواجهة هذا الخطر، فضلا عن التصدي للحركات الهدامة التي عصفت ببلاد المسلمين، وقد برز عدد من السفراء الذين ذكرهم ابن عساكر ومنهم: المحدث عبد الواحد بن رزق الله بن عبد الوهاب ابن عبد العزيز بن الحارث بن أسيد أبو القاسم بن محمد التميمي البغدادي الحنبلي الذي عاصر ابن عساكر، فذكر أنه قدم دمشق سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م) رسولاً من الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) حاملاً معه رسالة من الخليفة إلى أمير دمشق(٢٨)، دقاق بن تتش بن ألب أرسلان

أبو نصر المعروف بالملك شمس الملوك المتوفى (٤٩٧هـ/١١٠٣م) الذي تولى أمر دمشق بعد مقتل أبيه تاج الدولة تتش سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)(٢٩)، فاستقبل من قبل دقاق والعسكر وأهل البلد بحفاوة كبيرة حاملاً معه خلع وهدايا الخلافة العباسية للأمير دقاق ولوزيره ظهير الدين طغتكين المتوفى (٥٢٢هـ/١١٢٨م)، وأنزل السفير في دار الضيافة في حارة الخاطب بدمشق(٣٠)، ولكن ابن عساكر لم يكشف عن مضمون الرسالة والمرجح أنها كانت تصب في تحقيق الوحدة والتضامن وانتشال بلاد الشام من حالة التمزق وتوحيد الجبهة الشامية التي أصبحت حالة ملحة، ولاسيما أن الخطر الصليبي غدا على أبواب دمشق بعد زحفهم واستيلائهم على معظم أراضي بلاد الشام.

كما أشار ابن عساكر إلى عدد من السفراء البغداديين الذين توجهوا إلى دمشق بتكليف من الخلافة العباسية، إذ توجه المحدث عبد العزيز بن علي بن محمد بن عمر أبو حامد البيع الذي عاش في القرن السادس الهجري[٣١]، في مهمة رسمية لم يكشف عن مضمونها،وقد انفرد المؤرخ ابن عساكر بذكر أخبار هذه السفارة ولم يذكر تاريخها واسم المرسل والمرسل إليه على الرغم من معاصرته للأحداث بقدر ما ذكر قدومه دمشق رسولاً من دار الخلافة[٣٢] .

وفي جانب آخر نجد العلماء يحزمون حقائبهم الدبلوماسية ويتوجهون بها إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد تنفيذاً لأوامر قادة الجهاد الإسلامي ومنهم: الفقيه الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بندار أبو علي الديار بكري الشاتاني الذي عاش في القرن السادس الهجري[٣٣]، فقد ذكر ابن عساكر انه قدم دمشق سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) [٣٤]، وخدم دولة عماد الدين زنكي وولده الملك العادل نور الدين محمود زنكي وله بعض الإسهامات العلمية[٣٥]، وأرسله الملك العادل نور الدين محمود زنكي (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٣م) إلى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله[٣٦]،(٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦٠م) [٣٧]، وإلى عدة أطراف وعاد إلى دمشق وتوفي فيها[٣٨]. ولجهوده الطيبة في المهام التي بعث لأجلها بين الدولة الزنكية من جهة والخلافة العباسية من جهة أخرى أكرمه الملك العادل نور الدين محمود زنكي[٣٩]، وامتدحه ابن عساكر قائلاً: ((...كان مشهوراً بالفضل)) [٤٠]. ويتضح أن هذه

السفارة من قبل الزنكيين إلى الخلافة العباسية كانت تهدف إلى التنسيق بينهم واطلاع الخلافة على آخر مستجدات الصراع مع الصليبين، إذ أن الزنكيين يلجئون إلى عاصمة الخلافة بغداد أحياناً عندما يكون الخطر الصليبي أكبر من إمكانياتهم الذاتية.

ولم تقتصر السفارات بين الخلافة وبلاد الشام، وإنما شملت بلاد الشام نفسها، إذ كانت السفارات تجوب هذه البلاد نظراً لوجود الصليبيين في المنطقة وما يتطلب ذلك من جهود لتوحيد المواقف، إذ قدم دمشق الطبيب حمدان بن عبد الرحمن الذي عاش في القرن السادس الهجري رسولاً إلى مؤسس الدولة الاتابكية البورية في دمشق وأميرها ظهير الدين طغتكين (٤٩٨–٥٢٢هـ/١١٠٤–١١٢٨م) الذي قابله بالحفاوة والتكريم وضيّفه وأنزله بدار الضيافة في حارة الأثارب بدمشق[٤١]، دون أن يفصح ابن عساكر عن اسم مرسله أو طبيعة المهمة التي كلف بها هذا العالم والمرجح أنها كانت من السفارات التي تتميز بالسرية والكتمان، وربما هذا السبب الذي لم يستطع ابن عساكر معرفة المزيد عن هذه السفارة.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن نشاط العلماء لم يقتصر على المهمات الرسمية بين الخلافة العباسية وأمراء الأطراف وإنما ساهموا بشكل طوعي وفاعل ومؤثر في إيصال معاناة شريحة من الناس إلى القادة السياسيين بسبب الظلم والحيف الذي وقع عليهم من بعض الأمراء، فتوجه العالم علي بن زيد بن محمد بن عبد الله أبو منصور الموصلي الذي عاش في القرن السادس الهجري[٤٢]، رسولاً إلى دمشق بناء" على طلب والده حاملاً معه كتاب إلى أميرها نور الدين محمود زنكي طالباً فيه أن يشفع لدى أخيه قطب الدين مودود بن زنكي أمير الموصل حول قطعة ارض موروثة عن آبائه وأجداده في منطقة الزاب وهي ضيعة بناحية المـرج مـن أعمال الموصل وطلب السفير أن تكون الشفاعة بخط الملك العادل نور الدين محمود زنكي. [٤٣]

إذ ذكر ابن عساكر نص الكتاب وجاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم الداعي وإن كانت الهيبة كبحت عن المواصلة بخدمة جامع بيانه وصدت عن الجري في ميدان الطرس سابح بناته ومنع من الانبساط على ذلك الكرم ما تقدم له من الإغفال وأبرزه في جلاليب الخجل وما استوطأه من مركب التقصير والإخلال فانه لابد معاً أسلفه بكرم تيك المسامحة

وعائذ بالعين التي هل لزلات الخدم والأولياء غير مسامحة ويرى انه مع بعده ذلك الجناب بالموانع التي صدته عن ملازمة ذلك الباب لا يتميز عن من حكم له الولاء بالمسامحة ولا ينفرد عن من ظفر بخطوة المعاداة لذلك الجناب المحروس والمراوحة لكونه قد انقضى أكثر عمره في الولاء والمحبة لبيته الكريم ونزع به الإخلاص لفرعي الأصل القديم وبعد انه مع ترك المواصلة بخدمة كان كل المعادي من استنابه قلمه عن قدمه أن لو وجد إلى ذلك المحل سبيلاً مهيئاً ولعلته إلى ذلك البحر الخضم مورداً ومشرعاً، ولقد حسد الخادم ولده أبا منصور على ما تهيأ له من الشرف بالخدمة واستلام اليد الكريمة العليا والطواف بكعبة الكرم والتورية وكان ذلك بمقدر اتفاق جذبته السعادة إليه فأجاب وأهابت به إلى ما يفتخر بحصوله فصمم وأصاب، ومقصوده فيها أن يشفع إلى أخيه قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في حدود الزاب، وهي ضيقة بناحية المرج من أعمال الموصل موروثة عن آبائه وأجداده وتكون الشفاعة بخط الملك العادل)) [٤٤].

ومما يمكن أن نستشفه من هذه السفارة أن الدولة الزنكية والمتمثلة بالملك العادل نور الدين محمود كانت تتمتع بديمقراطية منقطعة النظير مع كل المسلمين فيصل معها الحد أنها تستمع لشكاوي وافديها حتى لو كانت على أمير أو قائد جيش أو أحد أفراد السلطة الحاكمة.

ولعل أهم ما تميز به عصر الحروب الصليبية النشاط الدبلوماسي المتمثل بالسفارات الكثيرة ولاسّيما في أوقات المحن والأزمات التي تبرز في أثناء مواجهة الصليبيين في بلاد الشام إذ توجه القاضي فخر الدين الملك علي بن محمد بن عمار أمير طرابلس المتوفى (٥١٠هـ/١١١٦م) [٤٥] إلى بغداد سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م) للاستنجاد بالخليفة المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (٤٩٢-٥١١هـ/١٠٩٨-١١١٧م) طلباً للمساعدة والنجدة على الصليبيين الذين طال حصارهم لإمارة طرابلس[٤٦] فاستقبله الخليفة والسلطان بحفاوة بالغ ووعده بالمساعدة ريثما يعود الأمير مودود بن توتكين (٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م) الذي كان متوجهاً إلى الموصل لانتزاعها من المتغلب عليها ويدعى جاولى (٥٠١-٥٠٢هـ/١١٠٦-١١٠٨م) ثم يتوجه معه

إلى الشام[٤٧]، ولكن بعثوا معه العساكر فلم ينفع ذلك فرد إلى دمشق[٤٨]، مما يعني أن تلك السفارة لم يكتب لها النجاح ، نظراً للأوضاع السياسية المتأزمة التي كانت تحيط بالعالم الإسلامي وسرعة الأحداث، ومن هنا يظهر أن الأثر الروحي للخلافة العباسية كان حاضراً بل مؤثراً بين ملوك الأطراف في غمرة الحروب الصليبية، والراجح أن يكون للعلماء دورٌ بارزٌ في زيادة فاعلية هذا الأثر الروحي للخلافة على ملوك الأطراف، ولاسيما من خلال سعيهم في السفارات التي أوكلت إليهم.

كما حاول بعض العلماء بمحض إرادتهم وانطلاقا من وازع ديني يجعلهم السباقين للإيفاء بالتزاماتهم تجاه دينهم وأمتهم القيام بالسفارات إلى دار الخلافة، فقد أشار ابن عساكر أن قاضي الشام محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي المتوفى (٥١٨هـ/١١٢٤م) كان في طليعة العلماء القادمين إلى بغداد[٤٩]، حيث حضر إلى دار الخلافة، فقال كلاماً أبكى فيه الحاضرين على ما جرى للمسلمين بعد سقوط بيت المقدس بيد الغزاة الصليبيين سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) فأمر الخليفة العباسي المستظهر بالله بتجييش الجيوش والتوجه بها إلى الشام وندب للقيام بهذه المهمة كلاً من القاضي أبي محمد الدامغاني وأبي بكر الشاشي، ولكن احتدام الصراع بين السلاطين السلاجقة بركياروق وأخيه محمد حال دون وصول تلك النجدة[٥٠]، وهذا ثمة شواهد أخر على أن العلماء لهم دور بارز خلال أحداث حقبة موضوع البحث إذ أن جل السفارات كانت من نصيب العلماء، كما أن هناك بعض العلماء تخصصوا في السفارة إلى جهة معينة دون الأخرى.

كما سعى العلماء من خلال تلك السفارات إلى توثيق الصلة بين الخلافة والأمراء المسلمين وتم التعبير عن ذلك في مناسبات كثيرة ومنهم القاضي سلطان بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسن بن محمد أبو المكارم المتوفى (٥٣٠هـ/١١٣٥م) [٥١] وهو من أهل دمشق كان ابن عساكر يحضر مجالس وعظه، إذ قال عنه: ((كان حسن الصوت يتعانى الوعظ))[٥٢]، ثم قدم إلى بغداد رسولاً فاستقبله الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٥م) وشرفه بالخلع والهدايا مع والده[٥٣]، ولكن ابن عساكر لم يكشف عن مضمون هذه السفارة، ويبدو إنها كانت تصب في إطار التشاور والتنسيق بين الخلافة وتوابعه في مختلف القضايا التي

تواجه العالم الإسلامي عامة وبلاد الشام خاصة التي تمر في مرحلة بالغة الدقة والخطورة ممثلة بالغزو الصليبي.

ومثلما كان حضور العلماء في بيعة الخلفاء أمراً ضرورياً بسبب الثقل الاجتماعي الذي يمتلكونه بين فئات المجتمع الإسلامي، فإن ذلك هيأ لهم فرصة لعب دور بارز في أخذ البيعة للخلفاء من أمراء الأطراف لتأكيد هيبة الخليفة والخلافة فقد توجه القاضي محمد بن القاسم بن المظفر بن عبدالله أبو بكر بن أبي أحمد الشهرزوري المتوفى (٥٣٨هـ/١١٤٣م) (٥٤)، في سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) سفيراً من الخليفة العباسي المسترشد بالله إلى أمير دمشق ظهير الدين طغتكين لأخذ البيعة له(٥٥) بمناسبة توليه منصب الخلافة بعد وفاة والده الخليفة المستظهر بالله وهو من المقربين إلى الخليفة المسترشد بالله(٥٦)، وموضع ثقته كما كانت له مكانه في نفوس أهل الشام حتى نال ثقتهم واحترامهم ،وقد جاءت هذه المكانة من خلال توليه منصب القضاء في تلك البلاد بنجاح تام (٥٧)، ومن جهة أخرى فإن العلاقة بين الأمراء المسلمين لم تكن غائبة، بل كانت هناك الاتصالات والمراسلات بينهم خصوصا في الظروف الحرجة عندما يشعر أحدهم بأن إمكانياته الذاتية المحدودة لا تكفي لمواجه الخطر المحدق به لذلك يلجئون إلى الاستعانة بعضهم بالبعض الآخر لتعزيز قدراته العسكرية والسياسية، فقد أشار ابن عساكر إلى النشاط الدبلوماسي بين هذه القوى الإسلامية إذ خرج الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن الحسن أبو القاسم التغلبي البغدادي المتوفى (٥٤٤هـ/١١٩م) (٥٨)، إلى والي دمشق رسولاً من السلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملكشاه المتوفى (٥٤٧هـ/١١٥٢م)(٥٩)، غير أن ابن عساكر لم يفصح المزيد عن طبيعة هذه المهمة ولا إلى أي أمير من أمراء دمشق جاءت هذه السفارة، علماً أن ابن عساكر التقى الفقيه مرتين ببغداد ودمشق، ولم يذكر تاريخ هذه السفارة ولا يتسنى لنا معرفة والي دمشق على ضوء هذا التاريخ.

واضطلع بالمهمة نفسها أحد قراء واسط القارئ عبد القادر بن علي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الفضل الشريف المتوفى (٥٤٨هـ/١١٥٣م) (٦٠)، إذ توجه رسولاً من قبل احد السلاطين السلاجقة في بغداد إلى أمير بعلبك محمد بن بوري(٦١) المتوفى (٥٣٤هـ/١١٣٩م)(٦٢)، لتعزيز الصلة بين الأمراء حيث التقي هذا العالم بمحمد بن بوري

الذي قابله بالحفاوة والإكرام[٦٣]،وقد انفرد ابن عساكر بذكر سفارة القارئ عبد القادر بن علي الواسطي من بين المؤرخين المعاصرين له ، بيد أنه لم يقدم معلومات وافية عن هذه السفارة ومدى نجاحها؛ ولعل السبب في ذلك ميل ابن عساكر نحو العلوم الشرعية والإنسانية أكثر من بقية الجوانب الأخر.

وفي أطار التعاون والتنسيق بين الخلافة وتوابعه ومن أجل مكافحة الحركات المناوئة أوفدت الخلافة في هذا الخصوص السفير محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدي المتوفى (٥٥٥هـ/١١٦٠م) [٦٤]، من قبل الخليفة المسترشد بالله رسولاً إلى احد ولاة دمشق للتباحث في أمر الباطنية[٦٥]، التي استفحل أمرها في بلاد الشام آنذاك، ويبدو إن الخليفة المسترشد بالله كان يبغي من وراء هذه السفارة أن ينتشل الأمة من وضعها المتأزم والعمل على مواجهة المخاطر التي تهدد أمن الدولة كخطر الباطنية والغلو في الداخل والصليبيين في الخارج وتحقيق روابط جديدة ومتينة بين أمراء المسلمين للثبات أمام المحن والشدائد.

أما سياسة توحيد الجهة الإسلامية التي اتبعها أمراء وملوك الأطراف، فقد بذل العلماء جهوداً متميزة في هذا الجانب، وتمكنوا من الحصول على النجاح في خطوات هذه السياسة كجهود العالم الفقيه الشافعي عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر أبي طالب العجمي المتوفى (٥٦١هـ/١١٦٥م) الذي قدم رسولاً إلى دمشق من صاحب حلب، إذ تمكن من القيام بمساع حميدة في سفارته بين أمراء الشاميين تكللت بالنجاح وتحقيق المصالحة[٦٦].

ومن الأهداف التي توخاها العلماء من سفاراتهم هي تمثيل الأمراء أو الإنابة عنهم للمشاركة في المناظرات[٦٧] العلمية بسبب انشغال هؤلاء الأمراء بالجهاد الإسلامي ولعل من أشهر هذه السفارات سفارة المحدث عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي المعروف بابن الاشيري المتوفى (٥٦٢هـ/١١٦٥م) وهو من محدثي المغرب التقى به ابن عساكر بدمشق[٦٨]، واستقر فيها بعد أن كان موظف بدولة عبد المؤمن، ولكن الظروف السياسية المضطربة في المغرب خشي ابن الاشيري عاقبته على نفسه فرحل عن بلاده ومعه أهل متوجهاً قاصداً بلاد الشام[٦٩]، وبتكليف من الملك العادل نور الدين محمود زنكي أرسله رسولاً إلى

بغداد للمشاركة في المناظر العلمية ممثلاً عنه حول كتاب ((الإفصاح)) الذي ألفه وزير الدولة العباسية يحيى بن هبيرة(٧٠).

ومما يمكن أن نستنتجه من تكليف الملك العادل نور الدين لأحد هؤلاء العلماء هو أن مؤهلاتهم العلمية كانت عاملاً مساعداً وميزة فضلتهم عن غيرهم من فئات المجتمع .

كما حاول العلماء من خلال سفاراتهم إلى بلاد الشام الاطلاع على المستجدات السياسية التي تحدث بالمنطقة، ففي سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م) قدم الفقيه الشافعي يوسف بن رمضان بن بنداري أبو المحاسن المتوفى (٥٦٣هـ/١١٦٧م) رسولاً من قبل الخليفة العباسي المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) إلى أمير دمشق الملك العادل نور الدين محمود زنكي(٧١)، ولم يكتب لهذه السفارة الاكتمال بعد أن عاجلت المنية أبا المحاسن وهو في طريقه إلى دمشق(٧٢)، بينما ابتدأ الفقيه الخضر بن هبة الله بن أبي الهمام أبو البركات المعروف بالطائي البغدادي المتوفى (٥٦٤هـ/١١٦٨م) باكورة نشاطه الدبلوماسي بإيصال الدعم المعنوي لأمير دمشق المظفر بن محمد بن بوري بن طغتكين (٥٣٤-٥٤٩هـ/١١٣٩-١١٥٤م) إذ قدم دمشق رسولاً من الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦٠م) وامتدح بها واليها(٧٣). وعلى الرغم من أن معالم هذه السفارة كانت واضحة إلا أنها حملت بعداً آخر هو أن العلماء كانوا قوة اعتمدت عليها الخلافة لتنفيذ سياستها وهذا دليل على كفاءة علمائه في السلك الدبلوماسي ونجاحهم في الحصول على مكاسب سياسية للخلافة.

نتائج البحث

من خلال الدراسة تبين أن هناك عدة نتائج أهمها:

١. يلاحظ أن صفات السفير كانت ذات طابع مدني تستند إلى أرباب الأقلام ،وصفات تجعله موضع ثقة مرسله ،ومن الواضح أن طبقة العلماء كانوا يتحلون بهذه الصفات لذا اعتمد عليهم الخلفاء والسلاطين والأمراء في عصرهم.

٢. يتبين من خلال الدراسة أن العلماء كان لهم دور بارز في السفارات خلال فترة الحروب الصليبية إذ إن جل سفارات الفترة كانت من نصيب العلماء مما يعكس الثقة والأمانة

وكفاءتهم في السلك الدبلوماسي ونجاحهم في الحصول على كثير من المكاسب السياسية.

٣. نجد أن ابن عساكر أولى اهتماماً خاصاً للسفراء،وقدم معلومات عن بعض السفارات انفرد بذكرها دون المصادر المعاصرة له أو اللاحقة ،وهذه التفاتة ذكية من المؤرخ ابن عساكر الذي لا يقتصر في تاريخه على ذكر العلوم الشرعية واللغوية والأدبية التي حازت على قصب السبق في تاريخه بسبب ميوله لهذه العلوم.ولكنه في الوقت نفسه أغفل ذكر سفارات أخرى كانت تجوب العالم الإسلامي خلال الحقبة التي تناولها البحث؛ وربما يعود هذا إلى تفضيل المؤرخ للجانب العلمي على غيره من الجوانب الأخر.

٤. يتضح أن أهم الأهداف التي توخاها العلماء من سفاراتهم في عصر الحروب الصليبية هي أما لأغراض توحيد الجبهة الإسلامية أو تنسيق المواقف بين الخلافة من جهة وأطرافه من جهة أخرى من أجل مواجهة الخطر الصليبي الجاثم على الأرض العربية أو لأغراض الوقوف على أهم المستجدات والتطورات ومدى حاجة بعضهم إلى بعض فيما يخصّ التعبئة العسكرية، فضلاً عن أخذ البيعة للخلافة أو لطلب التفويض أو فيما يتعلق بالجوانب السياسية والإعلامية والعلمية أو للاستنجاد بأحدهما لمواجهة بعض الحركات الهدامة التي عصفت بالعالم الإسلامي آنذاك وما إلى ذلك من أهداف سعى العلماء إلى تحقيقها من خلال سفاراتهم.

٥. يلاحظ من خلال الدراسة تباين نشاط السفارات بين مدة وأخرى تبعاً لظروف المرحلة ومدى قوة وضعف الخلافة وملوك الأطراف في مواجهة الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي.

٦. أن مهمات سفارات العلماء لم تقتصر على المهمات الرسمية بين الخلافة وتوابعه ،وإنما هناك سفارات خرجت بشكل طوعي وبمحض إرادتهم وانطلاقا من وازع ديني يجعلهم السباقين للإيفاء بالتزاماتهم تجاه دينهم وأمتهم من خلال إيصال معاناة شريحة من الناس إلى قادة الأمة ،مثل سفارة القاضي فخر الدين بن عمار وسفارة القاضي أبو سعد الهروي وغيرهما.

هوامش البحث:

---

(١) التابعي، محمد: السفارات في الإسلام، مطبعة أطلس، (القاهرة: ١٩٨٨م)، ص٨٤؛ المولى، محمد عبد الله احمد: علاقة العلماء بالخلافة العباسية في العصر العباسي الأخير (٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل: ٢٠٠٣م)، ص٤٨.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط٣، (بيروت: ١٩٩٩م)، ٢٧٩/٦.

(٣) سورة البقرة ،أية (٢٨٣).

(٤) سورة عبس، أية (١٥).

(٥) الفيروز آبادي، محيي الدين محمد يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، (بيروت: ١٤١٥هـ)، ٢٣/١؛ ابن منظور: لسان العرب، ٢٧٩/٦.

(٦) محي الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس، دار صادر، (بيروت: د.ت)، ٣٨/١٢.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، ٢٧٩/٦.

(٨) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م): جمهرة اللغة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، (الهند: ١٩٢٦م)، ٣٣/٢.

(٩) ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي: المخصص، المكتبة التجارية للطباعة، (بيروت: د.ت)، ٣/سفر١٥/١٢.

(١٠) الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد (ت٨١٦هـ/١٤٢٣م): كتاب التعريفات، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ٢٠٠٣م)، ص٩١؛ البياتي، عباس سمين: أبو حنيفة الدينوري منهجه وموارده في كتابه الأخبار الطوال، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة تكريت: ٢٠٠٢م)، ص١٨٩.

(١١) السامرائي، يونس عبد الحميد: السفارات في التاريخ الإسلامي حتى قيام الدولة العباسية، دار العلوم،(القاهرة:١٩٧٦م)، ص١١؛ درويش، يونس محمد:الأسرة

الشهرزورية ودورها السياسي والحضاري(٤٨٩-٦٣٠هـ/١٠٩٥-١٢٣٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة صلاح الدين كلية الآداب،(اربيل:١٩٩٨م)، ص٦٦.

(١٢) عبد الحميد، احمد: أضواء على الدبلوماسية، مطبعة سجل العرب، (القاهرة: ١٩٦٩م)، ص٢١.

(١٣) محمد، فاضل زكي: الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره، مطبعة دار الحرية، ط٢، (بغداد: ١٩٧٦م)، ص٢٢٥-٢٢٦.

(١٤) محمد، فاضل: الفكر السياسي، ص٢٢٦.

(١٥) محمد، فاضل: الفكر السياسي، ص٢٢٦.

(١٦) محمد، فاضل: الفكر السياسي، ص٢٢٦.

(١٧) سلطان، سلطان جبر: الدور السياسي للعلماء المسلمين أبان الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل: ١٩٩٩م)، ص١١٦.

(١٨) ابن الفراء، أبو الحسين بن محمد (ت؟): رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة: ١٩٤٧م)، ص١٠.

(١٩) ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٢.

(٢٠) ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٠.

(٢١) عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): الفتح القسي في الفتح القدسي، مطبعة المطبوعات، (القاهرة: د.ت)، ص٧٤-٧٥.

(٢٢) ثابر، شارل: الدبلوماسي، ترجمة: خيري حماد، مطبعة دار الطليعة، ط١، (بيروت: ١٩٦٠م)، ص١٠.

(٢٣) احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة: ١٩١٧م)، ١١٦/١.

(٢٤) صبح الأعشى ،١١٦/١.

(٢٥) لمزيد من التفاصيل، ينظر: المولى، محمد عبد الله: علاقة العلماء بالخلافة العباسية، ص٥١ وما بعدها.

(٢٦) الهرامة، عبد الحميد عبد الله: القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، مطبعة دار الكتاب، ط٢، (طرابلس: ١٩٩٩م)، ١٧٧.٢/١ .

(٢٧) ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٨.

(٢٨) ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله(ت٥٧١هـ/١١٧٥م) : تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق:أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي، مطبعة دار أحياء التراث العربي، ط١، (بيروت: ٢٠٠١م)، ١٥٧/٣٩-١٥٨.

(٢٩) ابن عساكر: تاريخ، ٢١٧/١٩؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط٢ ،(الهند: ١٩٥٢م)، ق١، ١١/٨؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): تحفة الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق: إحسان بن سعيد خلوصي وآخرون، مطبعة دار صادر والبشائر،ط٢، (بيروت ودمشق: ١٩٩٩م)، ص٣٦٣.

(٣٠) ابن عساكر: تاريخ، ١٥٨/٣٩.

(٣١) ابن عساكر: تاريخ، ٢٢٧/٣٨.

(٣٢) ابن عساكر: تاريخ، ٢٢٧/٣٨.

(٣٣) ابن عساكر: تاريخ، ٨٣/١٥؛ ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، مطبعة دار الفكر، (دمشق: د.ت)، مج٥، ٢٣٥١.

(٣٤) ابن عساكر: تاريخ، ٨٣/١٥.

(٣٥) ابن عساكر: تاريخ، ٨٣/١٥؛ ابن العديم: بغية الطلب، مج٥، ص٢٣٥٣.

(٣٦) ابن عساكر: تاريخ، ٨٣/١٥.

(٣٧) المحامي، باقر أمين الورد: بغداد خلفاؤها، ولاتها، ملوكها، رؤوسائها ،مطبعة المكتبة الوطنية، (بغداد: ١٩٨٤م)، ص٦٤.

(٣٨) ابن عساكر: تاريخ، ٨٣/١٥.

(٣٩) ابن العديم: بغية الطلب، مج٥، ص٢٣٥٢.

(٤٠) ابن عساكر: تاريخ، ٨٣/١٥.

(٤١) ابن عساكر: تاريخ، ٨٣/١٧.

(٤٢) ابن عساكر: تاريخ، ١١٤/٤٤.

(٤٣) ابن عساكر: تاريخ، ٢٦٥/٤٤-٢٦٦.

(٤٤) ابن عساكر: تاريخ، ٢٦٥/٤٤-٢٦٦.

(٤٥) ابن عساكر: تاريخ، ١٥٧/٥٨-١٥٨؛ الكتبي، محمد بن احمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ /١٣٦٢م): عيون التواريخ ، تحقيق: فيصل سامر وآخرون، مطبعة الدار الوطنية،(بغداد: ١٩٧٠م)، ٧٠/١٢ .

(٤٦) الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): دول الإسلام ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت: ١٩٨٥م)،ص٢٥٨؛ سلطان ، سلطان جبر: الدور السياسي للعلماء،ص١٧.

(٤٧) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت: ١٩٠٨م)، ص١٥٦-١٦١-١٦٥؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ق١، ٢٨/٨؛ سلطان: سلطان جبر: الدور السياسي للعلماء، ص١٧-١١٧.

(٤٨) الذهبي: دول الإسلام، ص٢٥٨.

(٤٩) ابن عساكر: تاريخ، ٥٣/٥٩.

(٥٠) ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت٦٣٠هـ/١٦٧٨م): الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار صادر، (بيروت: ١٩٦٦م)، ٢٨٤/١٠؛ سلطان، سلطان جبر: الدور السياسي للعلماء، ص١٥.

(٥١) ابن عساكر: تاريخ، ٢٦٣/٢٣؛ الحنبلي، أبو فلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ /١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، (بيروت: د.ت)، ٩٥/٤.

(٥٢) ابن عساكر: تاريخ، ٢٦٣/٢٣.

(٥٣) ابن عساكر: تاريخ، ٢٦٤/٢٣.

(٥٤) ابن عساكر: تاريخ، ٧٦/٥٨-٧٧.

(٥٥) ابن عساكر: تاريخ، ٧٧/٥٨.

(٥٦) الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن(ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، دار الكتب العلمية، ط٢ ،(بيروت: ١٩٨٧م)، ١٧/٢.

(٥٧) احمد، عبد الجبار حامد :(أبناء الشهرزوري ودورهم السياسي والقضائي والعلمي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد١٨، كلية الآداب، جامعة الموصل، (الموصل: ١٩٨٨م)، ص١١٦.

(٥٨) ابن عساكر: تاريخ، ٢٤٩/٣٧.

(٥٩) ابن عساكر: تاريخ، ٢٤٩/٣٧.

(٦٠) ابن عساكر: تاريخ، ٢٨٨/٣٨-٢٨٩.

(٦١) ابن عساكر: تاريخ، ٢٨٨/٣٨؛ الكتبي: عيون التواريخ، ٤٧٣/١٢.

(٦٢) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ص٣٧٤.

(٦٣) ابن عساكر: تاريخ، ٢٨٨/٣٨.

(٦٤) ابن عساكر: تاريخ، ١٦٤/٥٩؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، (الدكن: ١٣٥٨هـ)، ٩٧/١٠؛ ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: حامد احمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط١، (القاهرة: ٢٠٠٣م)، مج٦، ٢٧١/١٢.

(٦٥) ابن عساكر: تاريخ، ١٦٤/٥٩.

(٦٦) ابن عساكر: تاريخ، ٢١٣/٣٦.

(٦٧) فهي عبارة عن أسئلة وإجابة عليها، (المقري، أحمد بن محمد التلمساني(ت١٠٤١هـ/١٦٣٢م): نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١ ،(مصر: ١٩٤٩م)، ٤/٣).

(٦٨) ابن عساكر: تاريخ، ١٦٣/٣٤.

(٦٩) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م): أبناه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٥٢م)، ١٣٨/٢-١٣٩.

(٧٠) ابن عساكر: تاريخ، ١٦٣/٣٤.

(٧١) ابن عساكر: تاريخ، ٢٢٨/٦٩.

(٧٢) ابن عساكر: تاريخ، ٦٩/٢٢٨.

(٧٣) ابن عساكر: تاريخ، ١٨/٣٢٤– ٣٢٥.

Abstract

Ibn Asakir: Imam Hafidh Thiqat Al-Deen Abu Al- Kasim Ali bin Al-Hussien bin Hibat Allah Al-Shafy'ai died in (571 A.H \ 1175 A.D). He born in Damascus in (499 A.H \ 1105 A.D). He wrote " The Great History of Damascus" which is considered as an Islamic Encyclopedia falls in (74) volumes and an index that contains the different phenomena of Arabic and Islamic Culture. It mentioned everyone who visited Peninsula and participated in its culture since the Caliphate till the age of the author and from different regions of the Islamic World in different domains of life " scientific, political, administrative, economical and social "

This paper tries to shed light on the embassies of scientists in the era of crusades (490 – 571 A.H \ 1096 – 1175 A.D) from the book of "History of Damascus" to Ibn Asakir. He presented a survey with the names of the scientists who were ambassadors. The importance of this study lies in that the information that Ibn Asakir presented were his own and not taken from sources (oral or written) (i.e. he wrote what he saw) except rare cases, this was a feature belongs to Ibn Asakir himself.

The study includes two sections and a conclusion. Section one deals with the definition of embassy linguistically and idiomatically. It also tackles the stages of developing embassies during Islamic Ages as well as the conditions that should be available in the ambassador. Section two studies the scientists who worked as ambassadors during the period that this paper deals with.